مروة وليس الى الرد سبيل الا لمن استولى عليه البخل وهان عليه
الذم كما قال عبد الرحمن بن حسان

اني رايت من المكارم حسبكم ... ان تلبسوا خز الثياب وتشبعوا
فاذا تذكرت المكارم مرة ... في مجلس انتم به فتقنعوا

ونعوذ بالله من حرمان ثروة ماله ومنع حسن حاله ان يكون مستودعا في
صنيع مشكور وبر مدخور وقيل لبخيل لم حسبت مالك قال لنوايب
قيل قد نزلت بك وقال بعض الشعرا

مالك من مالك الا الذي ... قدمت فابذل طايعا مالكا
تقول اعمالي ولو فتشوا ... رايت اعمالك اعمى لكا

ثم قد اسقط حق نفسه ودفع اسباب شكره فصار بان لا حق له مذموما كمشكور
وما ثوما كمحمود وقال ابو العتاهية في هذا المعنى

جزي البخيل علي صالحة ... اذ لم يثقل مرة ظهري
اعلي وبر عن يده يدي ... فعلت ونزه قدره قدري
ما فاتني خير امرى وضعت ... عني يداه مونة الشكر
ورزقت من جدواه عاقبة ... ان لا يضيق بشكره صدري

فاذا لم يكن الى الرد في مثل هذا الحال سبيل نظر فان كان التاخير
مضرا اعجل بذله وبر وقطع مطله وكانت اجابته فعلا وقوله عملا وقد
قالت الحكما من مروة المطلوب اليه ان لا يلجا الى الالحاح عليه وقال محمد
بن حازم هذين البيتين في هذا المعنى وهما

ومستنظر سوالك بالعطايا ... واشرف من عطاياه السوال
اذا لم ياتك المعروف طوعا ... فدعه فالتنزه عنه مال

ولئن كان في الوقت مهلة وفي التاخير فسحة فقد اختلفت مذاهب الفضلا
فيها فذهب بعضهم الى ان الاولى تعجيل الوعد قولا ثم يعقبه الانجاز فعلا
ليكون السايل مسرورا بعاجل الوعد ثم باجل الانجاز وقد يكون المسول
موسوما بالكرم محفوظا بالوفا وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
العدة عطية وقال الفضل بن سهل لرجل ساله حاجة اعدك

اليوم

اليوم واحبوك غدا بالانجاز لتذوق حلاوة الامل واتزين انا بثوب الوفا
ووعد يحيى بن خالد رجلا بحاجة ساله اياها فقيل له لم تعد وانت
قادر فقال ان الحاجة اذا لم يتقدمها وعد ينتظر صاحبها نجاحها لم يجد
سرورها لان الوعد طعم والانجاز طعام وليس من فاجاه الطعام كمن تجد
رايحته ويتطعمه فدع الحاجة تختمر بالوعد ليكون لها طعم عند المصطنع اليه
وقال بعض البلغا اذا احسنت القول فاحسن العمل ليجتمع لك مزية
اللسان وثمرة الاحسان ولا تقل ما لا تفعل فانك لا تخلو في ذلك من
ذنب تكتسبه او عجز تلتزمه ومنهم من ذهب الى ان تعجيل البذل فعلا
من غير وعد اولى وتقدمه من غير ترقب ولا انتظار اهنى وانما يتقدم
الوعد واحد من رجلين اما معوز ينتظر جدة واما شحيح يروض نفسه
توطية وليس للوعد في غيرها بين الحالتين وجه يصح ولا راى يتضح
مع ما يعتري الليل والنهار وتتقلب به الحال من ايسار واعسار وقال
بعض الشعرا

يا ايها الملك المقدم امره ... شرقا وغربا
امن تختم صحيفتي ما ... دام هذا الطين رطبا
واعلم بان جفافه ... مما يعيد السهل صعبا

وقالوا ولان في الرجوع من توقي الانكسار وفي توقع الوعد من مرارة الانتظار
وفي العودة اليه من بذلة الاقتضا وذلة الاحتدا ما يكدر بره ويوهن
شكره وقد قال الشاعر هذين البيتين في هذا المعنى

ان الحوايج ربما ازري بها ... عند الذي تقضي له تطويلها
فاذا ضمنت لصاحب لك حاجة ... فاعلم بان تمامها تعجيلها

والحالة الثانية ان يكون السايل غير مستوجب والمسول غير متمكن
في الرد فسحة وفي المنع عذر غير انه يلين عند الرد لينا ينفي الذم ويظهر
عذرا يدفع عنه اللوم فليس كل مقل يعرف ولا كل معذور ينصف وقد قال
ابو العتاهية رحمه الله تنصف الناس

يا رب ان الناس لا ينصفونني ... فكيف وان انصفتهم ظلموني
فان كان لي شي تصدوا لاخذه ... ولئن جيت ابغي شيهم منعوني

Copyright © King Saud University